مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (09) العدد (05) السنة (2022)

الصفحة 395-411

إكسيولوجيا نتشه وأثرها على فلسفة ما بعد الحداثة

Nietzsche's axiology and its impact on postmodern philosophy

سعاد طيباوي [1*]، شهيدة لعموري [2]

[1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، tibaoui.souad@univ-ouargla.dz

[2] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، chahidamouiz@yahoo.fr

مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات :المعرفية السوسيوعاطفية

معلومات البحث

تاريخ الاستلام 2022/07/12

تاريخ القبول:2022/11/15

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى ابرزا أهمية نظرية القيم عند نتشه(1844-1900م) (Friedrich Nietzsche) وكيف ساهمت في بناء فلسفة ما بعد الحداثة من خلال فكره الفلسفي الدائم الحضور في المنظومة الفلسفية المعاصرة، فجاءت الفلسفات الناقمة على واقع القيم البشرية والميتافيزيقا ومركزية التفكير امتدادا له. فلقد كانت فلسفة نيتشه حاضرة في الفلسفات النقدية المعاصرة وبخاصة الفكر ما بعد حداثي، هيدغر(Martin *Heidegger*) (1889–1976) ودريدا (Jacques *Derrida*) (1930-2004)وفوكو (Michel *Foucault*) (1926– 1984) وغيرهم، ففلسفة ما بعد الحداثة جاءت متأثرة بعدمية نيتشه النقدية وليست مقاطعة أو مغايرة لها في كثير من أطروحاتها وأفكارها. لذا سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية: فيم تمثلت نظرية القيم عند نتشه؟ وكيف كان أثرها في فلسفة ما بعد الحداثة؟

الكلمات المفتاحية: الإكسيولوجيا، نتشه، ما بعد الحداثة.

ABSTRACT

This study aims to highlight the importance of value theory when Friedrich Nietzsche (1844-1900 AD) and how it contributed to building postmodern philosophy through his philosophical thought that is always present in the contemporary philosophical system. Nietzsche's philosophy was present in contemporary critical philosophies, especially postmodern thought, Heidegger, Derrida, Foucault and others, so postmodern philosophy was influenced by Nietzsche's critical nihilism and not a boycott or different from it in many of its theses and ideas. Nietzsche's theory of values, and what was its impact on postmodern philosophy?

Keywords: Axiology - Nietzsche - Postmodernism.

* سعاد طيباوي

1. مقدمة:

يشكل نيتشه منعطفاً أساسياً في تاريخ الفلسفة الغربية لمسألة الحداثة وما بعدها، بل لعله أول من فهم الفلسفات الحديثة فهماً عميقاً، فإذا كان كلا من بيكون وديكارت هما مشرعي الأزمنة الحديثة، فإن نيتشه هو أول فيلسوف حاول فهم تلك الأزمنة على حقيقتها. فقد مثل نيتشه ثورة حقيقية في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر بصفة عامة وفكر ما بعد الحداثة بصفة خاصة. إذ تقصى بعمق التناقضات الصارخة وضروب التنافر الخفية للفوضى في الفلسفة الأوربية. وهو ما يجعل منه الفيلسوف الذي أحدث انقلاباً عميقاً وجذرياً لمشروع الفكر الفلسفي الإنساني، وإعادة بناء لإستراتيجية التأويل وإرساء ممارسة جديدة كل جدة في الفلسفة.

لقد تنبأ نيتشه بأزمة القيم على ضوء تفكيره وكأن فلاسفة المستقبل امتداد له فجاءوا كما أرادهم متأثرين بشكل أو آخر بفلسفته وكانوا كما توقع نقلة جذريا في الفكر الفلسفي الغربي انتقل فيها من المركزية إلى غيابها، من الحقيقة المطلقة إلى تعدد الحقائق، أو بمعنى آخر اللاحقيقة، كان نيتشه المفكر الرئيسي في هذا التغير والتطور خاصة في الفكر ما بعد حداثي.

2. الإطار المفاهيمي

1.2 الأكسيولوجيا (نظرية القيم) (Axiologie) هي: « البحث في طبيعة القيم، و أصنافه و معاييرها، وهي باب من أبواب الفلسفة العامة ترتبط بالمنطق و علم الأخلاق، و فلسفة الجمال و الإلهيات.»(صليبا، 1982، صفحة 215) و لها معنيان:

1- دراسة، أو نظرية هذا النوع، أو ذاك من القيم، كقيمة العقل مثلا.

2- نظرية لمفهوم القيمة بصفة عامة.(أندريه لالاند، تر: خليل أحمد خليل، 2001، صفحة 912)

أما المنظور الإكسيولوجي فيبحث في الوجود من زاوية قيمية، تدرس قيمة معينة، كقيمة العقل، أو قيمة القيم في حد ذاتها. وهاته هي الزاوية التي نظر منها نيتشه إلى الوجود في محاولة منه الانتقال من التأويل الأنطولوجي إلى التأويل الأكسيولوجي، بغية إخراج الإنسان الغربي من حالة الدوغماطيقا المسيحية، و الإنكار المطلق الذي يعيشه بفعل تراكمات تاريخية، و ميتافيزيقية كانت خلاصتها، و نهايتها الكبرى مع الحداثة.

2.2 نيتشه: هو ابن الفلسفة الألمانية من مواليد الخامس عشر من أكتوبر عام (1844 م) بمقاطعة " زاكسن" ابن لأحد القساوسة البروتستانت، نشأ مسيحيا، لكنه في سن رشده تخلى عن الديانة المسيحية، تخصص في الفيلولوجيا الكلاسيكية. أصيب نيتشه بنوبات مرضية كانت سببيا في وفاته عام (1900م) " بقايمار" من بين مؤلفاته: "مولد التراجيديا" و " إنسان مفرط في إنسانيته"، و "هكذا تكلم زرادشت".(صفاء عبد السلام علي جعفر، 1999، صفحة 15)

نتشه هو فيلسوف العدمية الأكيدة والإرادة، تعارض آثاره بشكل جذري التقاليد الكانطية والهيجلية. الواقع بالنسبة لنتشه لا هو واقع ولا هو في صيرورة، إنه متتاليات من الظواهر المعيشة والمدركة ذاتيا من طرف الأفراد. إذن لا

توجد حقائق أو قيم في ذاتها: يتمثل الكائن في إرادته.(جان فرانسوا دورتيي، تر: إبراهيم صحراوي، 2009، صفحة 513)

3.2 ما بعد الحداثة: عرفت فكرة ما بعد الحداثة أوج ازدهارها في الولايات المتحدة الأمريكية ابتداء من السنوات 80 من القرن 20. تتضمن ما بعد الحداثة في الصعيد الاجتماعي نقد العلم والفكر الغربي باعتبارها قيما راقية. إذ تجعل الثقافات والقيم في المستوى نفسه. تمدح الاختلاط وتزاوج الأنواع.(جان فرانسوا دورتيي، تر: إبراهيم صحراوي، 2009، صفحة 517)

تعتبر هتشيون (Lind hutcheon) (1947) أن مصطلح ما بعد الحداثة، ولد في الدوائر الفلسفية مع نصوص دريدا، وليوتار(*Jean*-Françoi Lyotard)(1924-1998) ودلوز (*Deleuze* Gilles)(1925-1995) وفوكو وعرفت ما بعد الحداثة بوصفها حالة اجتماعية عامة على أنها: «عرفت ما بعد الحداثة بأشكال مختلفة بتعابير العلاقة بين الخطاب الفكري وخطاب الدولة علة أنها شرط تحدده سخرية متشائمة شاملة مسهبة وحس خائف من الواقعية المتطرفة والصورة الزائفة.»(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2013، صفحة 138)

كما تعرفها أيضا على أنها: «نقد للمذهب الإنساني والمذهب الوضعي وعلى فحص لعلاقتهما بأفكارنا عن الذاتية»(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2013، صفحة 138) فما بعد الحداثة إذن حسب هتشيون هي نقد لكل الإرث الفكري الغربي المتمركز حول الذات.

3. قراءة نيتشه النقدية للدين:

يرى نيتشه أن الدين هو المدخل الأساس على فكرتي"الله والعالم الآخر " والمنظومة أو النسق الديني يتشكل من"الله – الوحي – الملائكة – الأنبياء – العالم الآخر – الكنيسة – الأفكار والمعتقدات الدينية " وحينما يقول نيتشه: «إن الله قد مات ونحن قتلناه.»(نيتشه ، تر: سعاد حرب ، 2001، صفحة 118) فهو يعلن نهاية الميتافيزيقا كفكرة مجردة، وتهاوي المنظومة التي يتشكل منها النسق الديني وتساقط هذه الأجزاء واحدا بعد الآخر. ناقش نيتشه معظم الأطروحات الدينية بصورة نقدية، ورأى أن هنالك كثيراً من الأفكار تتناقض مع الواقع، ويجب الوقوف عندها، ورفضها رفضاً مطلقاً لأنها لا تؤمن بالتطور والتقدم الحاصل في مجالات الحياة كافة، ثم نقد المؤسسة الدينية لأنها قائمة على مجموعة من الأفكار البالية التي لا تتلاءم مع طبيعة الفكر في عصره.

ومن أبرز هذه الأفكار التي ناقشها نيتشه بإسهاب:

1. فكرة الإيمان القائم على الأفكار الفطرية الموجودة في ذهن الإنسان، ويصبح الدين في ضوئها حاجة، ومن ثم فطرة.!
2. الفكر الديني القائم على المعجزة والسحر الذي يتناقض مع العلم.
3. فكرة المساواة التي جاءت بها الديانات وتحديداً الديانات الإلهية الثلاث، ويرى أنه لا معنى لهذا القول لأنه يتنافى مع الطبيعة، وان هذه الديانات صنعت طبقة من الناس، طبقة متعالية على الجميع، ولا يمكن التوجه إليها بالنقد، لأنهم يمثلون سلطة الله على الأرض وهؤلاء هم"رجال الدين".

4. الرؤية السلبية للدين تجاه الحياة القائمة على إنكارها وعدها مصدر عذاب وألم وتمثل الخطيئة، ولا تمثل السعادة، بل هي ألم دائم للبشرية.
5. الأخلاق الدينية القائمة على الشفقة والتسامح والزهد... وغيرها من أخلاق الضعفاء والبؤساء الذين يمثلون الصفوة في هذه الديانات.

من خلال دراسته للفكر الديني وتاريخه، عرف نيتشه أن الدين يظهر نتيجة الخوف والحاجة، التي يعانيها أو"يكابدها " الإنسان، وتحديداً الضعفاء والمهشمون في المجتمع، أو العبيد –بحسب تحديد نيتشه– فأغلب الديانات ظهرت وسط هذه الطبقات ولم تظهر في المركزية الغربية أو العربية، أو ما تسمى اليوم بالطبقة البرجوازية أو الارستقراطية.

من جهة أخرى يقول نتشه: «إن الدين لم يحتو على حقيقة أبدا، لا بشكل مباشر أو غير مباشر، لا على شكل ركن من أركانه، ولا على شكل حكمة، لأن الدين إنما يولد من الخوف ومن الحاجة، وقد أنسل إلى داخل الوجود من خلال"سبل العقل التائه.»(نيتشه، ترجمة مُحَمَّد الناجي، 1998، صفحة 75) هذا العقل القائم على الإيمان على الفطرة، لأن الحقيقة بنظر نيتشه مرتبطة بالواقع وليست فكرة فطرية أو قبلية مجردة موجودة في ذهن الإنسان أو في العالم الآخر، فهو يرى «أن الفطرة الدينية بائسة، والحياة الدينية شغلها الشاغل تمحيص الذات مجهرياً ومع ذلك الاسترسال الدقيق المسمى"صلاة " أي الاستعداد الدائم لمجيء الله.» (نيتشه،ترجمة جيزيلا فالور حجار، 1995، صفحة 93)

هذه العملية قصدها إبعاد الإنسان عن عالمه وحياته التي يعيشها وإشعاله في أمور لا علاقة لها بالواقع، لذلك فإن الجيل الجديد من الإنسانية قد تخلى عن هذه الفطرة الدينية تحديداً في أوروبا، لأنه انشغل بالعمل والعلم وما يحصل من تغيرات هائلة في واقعة المعاش المعاصر. والدين يمثل ثورة الهامش على المركز، وهذا ما ظهر واضحاً وجلياً في الديانات الإلهية الثلاث، فالعبيد والعامة صاروا أسياداً للناس وصار السيد وفقاً لهذا المبدأ يساوي العبد، وهنا بدأ صراع الطبقات بسبب الأديان، وهذا يتقارب مع الدعوة الماركسية أو الأطروحات الماركسية في القضاء على الطبقية، فالإيمان المسيحي يدعو إلى مساواة البشر أمام الله وهذا الحكم في الحقيقة متولد من غل الفقراء ضد أولئك الذين كانوا أقوى منهم.(فرنسيس فوكوياما ، تر: فؤاد شاهين وآخرون، 1993، صفحة 280)

أما نيتشه فيرد على هذه الدعوة بالقول: «أيها الرجال الراقون، إن طبقة الشعب تنكر الإنسان الراقي، فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم إنسانا واحداً أمام الله، أما المساواة أمام الله فما لنا ولها ما دام هذا الإله قد مات».(نيتشه،ترجمة فليكس فارس، ، بدون تاريخ، صفحة 315)فالدين يدعو إلى المساواة بين الناس جميعاً ووضعهم في مستوى واحد عن بكرة أبيهم، مع أن أول قانون للوجود الحي الطبيعي هو التمييز والتفرقة ووضع الكائنات وضعاً رأسياً، لا أفقياً، أي جعلهم في نظام تصاعدي، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فالدين مناف للطبيعة ومتعارض مع الواقع ومضاد للحقيقة الفعلية.(عبد الرحمن بدوي، 1975، صفحة 200)

فنيتشه يرفض إذن الدعوة إلى المساواة ويرى أن الناس طبقات، هناك سيد وهناك عبد وهنالك إنسان راقي هو الهدف السامي للإنسان العادي، وذلك الإنسان هو غاية للإنسانية، فلا يصح أن يتساوى الناس جميعاً ولا معنى لهذا التساوي لأنه قائم على فكر مجرد وليس على الواقع، لأن هناك اختلافات واسعة وكبيرة بين السيد والعبد، فالأول يمثل إرادة القوة، والآخر يمثل الضعف والوهن والاستسلام لتلك الإرادة، تلك الإرادة هي الإرادة الإلهية، والقديس هو البابا

الذي يحكم العالم المسيحي الذي كان يمثل قوة مطلقة تفرض رأيها على الجميع، والسيد هو الإنسان المهيأ لكي يصبح الإنسان الأرقى الصانع لأخلاقه وقيمه، أما العبد فهو إنسان لا إرادي خاضع لسلطة خارج إرادة الإنسان، دائم التبرير لنفسه ودائم العثرات والأخطاء، أفعاله لا تخضع لإرادته بل لقيم عليا أوجدتها. تلك الإرادة هي الإرادة الإلهية، والقديس هو البابا الذي يحكم العالم المسيحي الذي كان يمثل قوة مطلقة تفرض رأيها على الجميع.

وفي هذا الجانب عندما يقارن نيتشه العهد الجديد بالمانوية إذ يرى أن الأول بائس جداً قياساً بالمانوية لأن الأخيرة تؤمن بالطبقية في المجتمع وهذا ما ترفضه المسيحية، إذ لا فرق بين إنسان وآخر أمام الله إذ ينعت نتشه العهد الجديد بالبؤس والرائحة النتنة إذا ما قورن بالمانوية.

ويرى نيتشه الذي ينعتهم بالبؤساء أن الله اختارهم لبؤسهم" لاشك في بؤس هؤلاء المدندنين بالصلوات جميعاً، وفي تعاسة أصحاب العملة المزيفة هؤلاء قاطبة، فرغم أنهم منطرحون في قرارة خباياهم فإنهم يتدفئون لكنهم يزعمون أن الله اصطفاهم واختارهم نظراً لبؤسهم، ألا ترى أن المرء يخص بالجلد العنيف من يحب من الكلاب أكثر من سواه».(نيتشه، تر: حسن قبيسي، 1981، صفحة 42) فهو يشبه الناس المؤمنين بالكلاب نظراً لبؤسهم، وللسبب نفسه اختارهم واصطفاهم من دون باقي البشرية، وهؤلاء الناس لا يعبرون عن الحياة لأنهم دائماً يخدعون أنفسهم حينما يجعلون من السيئ حسن، ومن الألم والقهر صبراً وفضيلة، والعجز عن الاقتصاص يتحول بفعل الكذب إلى صلاح وطيبة، والخوف والجبن إلى تواضع ومودة، والانصياع لمن يبغضون طاعة.. الخ من المبررات التي تجعل منهم عبيداً وليسوا أحراراً كما يرى نيتشه، وهم يرون تلك الأفعال السلبية تمثل الإرادة الإلهية، وهذا هو التناقض بين الله أو الدين والحياة، لأن الدين يقوم على مبدأ إنكار الحياة لأن الحياة لا تقوم على الخوف والعجز والألم والقهر..الخ من الصفات السلبية بل تقوم على أساس القوة وحرية الإرادة والسعادة، فيرى نيتشه "أن الحياة ينبوع مسرة" وليست مصدر تعاسة وألم، كما يرى المؤمنون بنظره، ويرى نيتشه أن الفلسفة المتمثلة بالميتافيزيقا متضافرة مع الدين بمؤامرة تهدف إلى اقتلاع الحياة من جذورها وإحلال إرادة"إماتة الحياة" محل إرادة الحياة.

يتمثل التناقض بين الدين والحياة في الأخلاق الدينية لأن هذه الأخيرة متمثلة بالكنيسة تقوم على نفي الحياة، أما رجل الدين المسيحي ولكي يكون كذلك يجب أن يرفض هذه الفكرة شكلاً ومضموناً، ويقول نيتشه في هذا الاتجاه «إن الأخلاق الدينية تقول لا لأدنى الغرائب كما لأسمى أماني الحياة وتضع الإله عدواً للحياة... أن القديس الذي يرضي الإله هو المحظوظ المثالي، ينتهي أمر الحياة حينما تبدأ "مملكة الرب.»(نيتشه، تر: حسان بورقية، مُحَمَّد الناجي، 1996، صفحة 40)

إذن فالمبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الحياة وهو الغريزة ترفضه السلطة الدينية، وبالتالي يعتبر نيتشه فكرة الله تعبر عن العدم لأنها تحط من قيمة الحياة كما يقول: «تعبر فكرة الله عن إرادة العدم، وعن الحط من قيمة الحياة، حين لا مركز ثقل الحياة في الحياة، بل في الآخرة في العدم، نكون نزعنا عن الحياة مركز ثقلها».(جيل دولوز،ترجمة أسامة الحاج، 2001، صفحة 196) وهذا يفسر أن هنالك تناسباً طردياً بين الدين وتدني الحياة، فالدين هو السبب في احتقار الإنسان للحياة وليس الإنسان نفسه، لذلك فهو يقول: «لا لم تخيب أملي الحياة، كل سنة أجدها أفضل، أشد رغبة،

وأشد غموضاً" ..."الحياة وسيلة للمعرفة" عندما يملك القلب هذا الشعور يمكن أن نعيش ليس فقط بشجاعة ولكن بسعادة.»(نيتشه ، تر: سعاد حرب ، 2001، صفحة 177)

وبالنتيجة وصل نيتشه إلى القول بموت الله، وهذه المقولة تحمل كثيراً من التفسيرات، أحد هذه التفسيرات هو إعلان موت الدين ومن ثم نهايته، ومن هنا يتبادر إلى الذهن السؤال الأتي: ما قيمة الدين دون غاية معروفة، ونيتشه لا يعلن موت الله فقط، بل القضاء على ظله أيضا، فيقول: «مات بوذا، إلا أنهم استمروا لقرون طويلة يعرضون ظله في كهف، ظل عظيم ومخيف. مات الله لكن من طبيعة البشر أنه وربما لآلاف السنين ستبقى هناك كهوف تعرض ظله، ونحن بدورنا علينا أن نقضي على ظله أيضا.»(نيتشه ، تر: سعاد حرب ، 2001، صفحة 107) إذن هي دعوى لإلغاء الروح الدينية عند كل إنسان.

هذه الدعوى تكمن في إلغاء الغاية التي تقوم عليها الأديان، بحيث تصبح لا قيمة لها ثم يأتي نيتشه ليدعو فلاسفة المستقبل لجعل الدين وسيلة بيد الإنسان، وهذه الدعوى تتلاءم وطبيعة فكرة الإنسان الأعلى التي تتناقض مع فكرة الله، يقول: «أن الثمن المدفوع سيكون غالياً ومرعباً أبدا إذا لم تكن الأديان وسيلة تأديبية وتربوية في يد الفيلسوف، بل أرادت لنفسها أن تكون غايات أخيرة وليست وسيلة بين وسائل أخرى عند البشر كما عند سائر الحيوان».(نيتشه،ترجمة جيزيلا فالور حجار، 1995، صفحة 99)

وفقا لهذه الرؤية النتشاوية للدين يصبح الإنسان مخيراً غير مسير كما تريد الأديان، أي أنه غير مجبر بالالتزام أو عدمه تجاه الأفكار والمعتقدات الدينية. وتتعارض هذه الرؤية مع ما جاءت به الفلسفة الوسيطة والحديثة، وتحديدا الفلاسفة المسيحيون وبعض الفلاسفة المحدثين، فكانت الغاية القصوى من فلسفتهم هي الوصول لمعرفة الله، فكانت الأفكار الفلسفية والأخلاقية هي الطريق الواصل إلى معرفة الله.

4. مفهوم جينيالوجيا نيتشه

إذا أردنا أن نتكلم على منهج نيتشه فإننا مجبرون أن نذكر ما يسمى بالجينيالوجيا: فهي قبل كل شيء مؤلفا نيتشاويا نقديا متميزا ذو أبعاد ضاربة في الطموح إلى ما يتجاوز النقد الحديث بكل ما أوتي من قوة إستراتيجية ومن رباط الفلاسفة، بل هو نقد للنقد الحديث بصيغتيه المثاليتين: النقدية الجدلية الكانطية والهيغلية، فالجينيالوجيا هي ذلك الاستبدال ليس الآلي وإنما الذي فرضته الضرورة، فإذا كان من اللازم أن تتحطم تلك الآليات وتظهر الجينيالوجيا؛ وبالتالي يتأسس مشروعه الفلسفي على النقد الجينيالوجي، المؤسس للقيم، بما هو بحث في الأصل عن القيم والاعتقادات لمعرفة أصولها وطريقة تشكلها، وهو المسعى الوحيد في نظر نيتشه لإنجاز نقد كلي يتجاوز فلسفة المعنى والذات، ومن التباساتها الميتافيزيقية فالقيم عند نتشه يجب أن تكون نقدية.

يقوم مشروع نيتشه الأكثر عمومية على ما يلي: إدخال مفهومي المعنى والقيمة إلى الفلسفة وبديهي أن الفلسفة الحديثة في جزء كبير منها، عاشت ولازالت تعيش على نيتشه لكن ربما ليس بالطريقة التي يتمناها، إن نيتشه لم يخف يوما أن فلسفة المعنى والقيم يجب أن تكون نقدية.(جيل دولوز،ترجمة أسامة الحاج، 2001، صفحة 05)

ذلك أن مرمى التاريخ الجينيالوجي، ليس استفادة جذور الهوية وإنما القضاء عليها، منذ البداية، إذن تضع الجينيالوجيا نفسها في مقابل الميتافيزيقا، إنها تاريخ مضاد للتاريخ الميتافيزيقي، حينما يتوخى هذا إثبات الوحدات وإقامة الهويات والوقوف عند الماهيات الخالدة ترمي تلك إلى هدم الموحد وتقويض الهوية، فهي لا تأخذ على عاتقها وصد المنشأ الوحيد، الذي صدرنا عنه، والموطن الأصلي الذي تعدنا الميتافيزيقا بالرجوع إليه، وإنما تسعى لإظهار الانفصالات التي تخترقنا؛ الجينيالوجيا لا تفهم الأسس، إنها لا تؤسس بل على العكس من ذلك، إنها تقلق ما تعتقده الميتافيزيقا ساكنا وتفتت ما تظنه موحدا، وتظهر التنوع فيما يبدو منسجما، لا يؤمن الجينيالوجي لا بالماهيات الثابتة ولا بالمبادئ المؤسسة ولا بالغايات الميتافيزيقية ذلك أنه إذ يقضي على فكرة المصدر الأصلي يلغي في الوقت ذاته فكرة الغاية والنهاية.(عبد السلام بنعبد العالي، 1991، صفحة 27)

إذن نيتشه يعتقد أن الفلسفة من أفلاطون*(Plato)*(427ق.م-347ق.م) إلى هيغل (Georg Wilhelm Friedrich *Hegel)*(1770-1831م) ، كانت عبارة عن حلقة مفرغة ضاع فيها وقت كثير دون تحصيل نتائج إيجابية، لأنهم منحوا أنفسهم تمثلات وتخيلات بدعوى بلوغ الإنسانية مرحلة الكمال وبالتالي نوافق دولوز الذي يرى أن المغزى من الجينيالوجيا ليس هو الدخول في مشاكل الأصل والبحث عنه، وإنما في إصدار أحكام القيم بصدد الأصل، وذلك هو مخرجه من سياجية الميتافيزيقا. وبالتالي الشخصية الجينيالوجية تحتل في قراءتها للتاريخ، وضعية مزدوجة خارجية من حيث أنها تسلط الضوء على تناول الأفكار بالنسبة إليها، من الأفكار إلى الأفكار، نعلم أن نيتشه تلقى تكوينا فيلولوجيا على يد أستاذه ريتشل(Ritschl)، وهذا التكوين ذو تأثير فعال على فكره بصفة عامة، وعلى جينيالوجيا الأخلاق، بشكل أكثر خصوصية كان حلمه أن يحل المسائل الدينية والفلسفية بواسطة الفيلولوجيا، فكانت هذه الأخيرة هي التي طبعت بحوثه الفلسفية بشكل عميق، الجينيالوجيا هي منظار فيلولوجي بحث المشاكل بحثا مفككا للغة عبر التاريخ، أو تحليل نقدي للنصوص.

يقرأ نيتشه خطاب الميتافيزيقا، بما هو خطاب يتأسس على وحدة العقل والمعنى والحقيقة، التي في حقيقتها وحدة وهمية مفترضة، وبما هو خطاب يتغذى من إنكاره لأصوله، ونسيان لشروط انبثاقه ،وحَجبٌ لآليات اشتغاله(مُحَمَّد أندلسي، 2006، صفحة 26) إذا «الجينيالوجيا لم تكن متابعة تأريخية لمختلف الأنساق الميتافيزيقية لتفنيدها، إن لم تكن إثباتا لمعنى أول ما صدرت عنه كل ميتافيزيقا، ولا وقوفا عند غاية ستنتهي عندها الميتافيزيقا فذلك لأنها محاولة لإعادة بناء مختلف المنظومات الفاعلة إنها تأويل لتاريخ الميتافيزيقا وتقويض للتاريخ الميتافيزيقي.»(عبد السلام بنعبد العالي، 1991، صفحة 29)

إن نيتشه لا يريد أن نتجاوز الميتافيزيقا بتفنيدها، ولا يفندها باسم حقيقة مضادة، وبالرغم من ذلك فهو لا يرفض الحقيقة، وإنما يرفض أن نفصل فصلا وضعيا الحقيقة عن الخطأ فليس النقد الجينيالوجي فلسفة سياسية تنتقد الفلسفات الإيجابية، إنه لا يقابل الميتافيزيقا بميتافيزيقا مضادة، وهو لا يعارض بل يفارق ويخالف ولا يقول بل يجيب نعم، ولا يعني ذلك أنه يمجد الإيجاب ضد السلب إنه يريد أن يحرر السلب من كل لحظة تركيب يريد أن يذهب إلى أبعد من ذلك.(عبد السلام بنعبد العالي، 1991، صفحة 33)

وقد وظف نيتشه الجنيالوجيا بما هي إستراتيجية في التساؤل وقلب القيم ومن يقف وراء تشكل المفاهيم، فقد اقترح نيتشه بديلا عن الدراسة العقلية والموضوعية النقد الجنيالوجي بوصفه « أسلوب يعمق السؤال حول الأصل التكويني للأشياء وللعقل ومقولاته أيضا، ما هي قوى العقل والإدراك ما هي الإرادة التي تختبئ في العقل وخلف المقولات؟ هذه هي الطريقة التي تحقق النقد الحقيقي إنه المنهج الجنيالوحي.»(عبد الرزاق بالعقروز، 2010، صفحة 150)

تعمل الجينيالوجيا إذن على تفكيك النموذج القضوي الملهم للفلسفة الميتافيزيقية الذي وإن اعترض على صيغته المنظمة والكاملة في المنطق الأرسطي، يمتد بجذوره في نظر نيتشه إلى سقراط ***(Socrates)***(470ق.م-399ق.م) ومن بعده أفلاطون إن اللحظة السقراطية، على النقيض من الصورة، الكاريزمية المتلألئة التي يكاد يكون مؤرخو الفكر الفلسفي قد نسجوا عنها بإجماع وتمثل في منظور نيتشه أول انحطاط في الفلسفة.(مُحَمَّد أندلسي، 2006، صفحة 28)

الجينيالوجيا إذن محاولة لمجاوزة الميتافيزيقا، إنها رجوع إلى الوراء ومحاولة لاسترجاع الاختفاء الذي كان وراء كل انكشاف، والغياب الذي كان خلف كل حضور، أليست استذكار لتاريخ الوجود من حيث هو اختلاف منسي ونسيان للاختلاف؟ تلك هي القراءة التي سيقرأ بها هيدغر أعمال نيتشه وتاريخ الميتافيزيقا.

5. العدمية وأزمة القيم:

يعتبر نيتشه الأب الحديث للعدمية، وأسس العقيدة العدمية تفيد بعدم وجود حقائق أبدية، لا يوجد هدف أبدي ولا يوجد معنى أو مغزى مطلق للوجود البشري، وفي نهاية المطاف ما نصادفه في الحياة، هو ما أسماه نيتشه التفاهة أي تفاهة اللامعنى، لا يوجد إله، وبما أنه لا يوجد إله، لا يوجد معنى مطلق للحياة البشرية، هذا هو المقصود بالعدمية، أو تفاهة الاختبار البشري؛ تكونت نظرياته الفكرية في أيام دراسته الجامعية

درس نيتشه التاريخ، كما درس ثقافة القرن التاسع عشر وبدأ بالتذمر من الخصائص الرئيسية، للثقافة الأوربية للقرن التاسع عشر التي وصفها بالمنحطة . والانحطاط يعني الخضوع لعملية الانحلال الجذري. أو الفساد رأى نيتشه أن هذا الانحطاط ناتج؛ عن التأثير السلبي للكنيسة المسيحية، لأن الكنيسة المسيحية وضعت بعض القيم التي أقتنع نيتشه، بأن من شأنها تقويض الروح البشرية وتدميرها فمثلا: أخلاقيات المسيحية تستند على النعمة والرحمة والشفقة؛ فوفق نيتشه هذه الفضائل المزعومة تغرس ضعفا داخل الناس؛ وتجعلهم يعيشون بطريقة غافلة وغير مبدعة، هذه الطريقة تعيق نوعا ما النمو الأساسي للروح البشرية وتقضي على ما يسميه الوجوديون "الوجود البشري الأصيل، لاحظ نيتشه أن الترياق الضروري لبقاء الحضارة الغربية ولبلوغ الثقافة إمكاناتها القصوى، ما كان يجب أن يحدث في المقام الأول؛ هو التخلص من الدين العاطفي، الذي حجب الوجود البشري الحقيقي.

تؤكد العدمية انتشار ظاهرة مرضية هي الانحطاط، وطالما بقي الانحطاط محصورا في بعض الطبقات الاجتماعية وبعض مناطق الكرة الأرضية، لا يشكل خطرا على الحضارة البشرية؛ ولكنه يغدو كارثة رهيبة عندما يجتاح –كما هو الحال اليوم بنظر نيتشه– جميع الطبقات والمؤسسات والشعوب، حتى يمتزج في النهاية مع فكرة الإنسانية نفسها فمصطلح العدمية هي مفردة نجدها عند جاكوبي(Friedrich Heinrich *Jacobi*)، والفلاسفة الفوضويون الروس والتي استعارها نيتشه من بول بورجيه (*Paul* Bourget) (1852-1935) ، وهي تستخدم للدلالة، عند

نيتشه، على ماهية الأزمة المميتة التي ضربت العالم الحديث سقوط القيم العامة التي أغرقت الإنسانية في غم العبث وذلك بأن فرض عليها اليقين المتشائم الذي لا قيمة لشيء معه.(جان غرانيه، تر: علي بوملحم، 2008، صفحة 33)

فالعدمية تعني إذن «إرادة نفي وإعدام للحياة، وليست الإرادة هي التي تنفي نفسها في القيم العليا، إنما القيم العليا التي ترتبط بإرادة النفي».(جيل دولوز،ترجمة أسامة الحاج، 2001، صفحة 189) والعدمية بما أنها فضاء جديد للتفكير، تعمل على تأزيم دلالة الوجود وتطرح بشكل جذري إشكالية المعنى والقيمة وبحكم ذلك فهي تقتضي القيام بتحويل جذري، كما أنها قلبت سؤال القيمة حول القيم وقلب سؤال الفلسفة حول فلسفة الفلسفة.

إن جميع أشكال العدمية تملك ميزة مشتركة في الاستسلام أو التراجع أما العدو الظاهر بموت الإله، ولكن الأمل يرتسم مع المرحلة الأخيرة فتتجاوز العدمية نفسها وتدخل أخيرا إرادة القوة المؤكدة في اللعبة، تلك القوة التي تؤثر الحياة على العدم، وتقرر أن تخلق قيما بدل أن تتألم بشدة من موت الإله، وتبدو العدمية من هذه الزاوية كحزب مضاد لتطور البشرية الجديدة والدقيق، يجب أن نعلم أن مثل هذه الإرادة المؤكدة تحتاج إلى الدعم وتعليم مستند إلى اختبار صارم جدا.(جان غرانيه، تر: علي بوملحم، 2008، صفحة 41)

1. و تعود أسباب العدمية حسب نيتشه إلى:

1- النوع الراقي غير موجود؛ بمعنى النوع الذي يمكن إنتاجه، و قوته اللذان لا ينضب لهمت معين من الحفاظ على الإنسان، و الإيمان.

2- النوع الأدنى وهم: "قطيع" و "الجماهير" و "مجتمع"، ينسى التواضع و يضخم رغباته إلى أن يجعل منها قيما كونية وما ورائية، و بهذا تصبح الحياة مبتذلة، دون قيمة، فالجماهير حينما تحكم فإنها تضطهد الرجال الأقوياء، وهذا بجعلهم يفتقدون الإيمان بأنفسهم، وهذا يدفعهم إلى العدمية.(فريدريك نيتشه، تر: مُحَمَّد الناجي، 2011، الصفحات 25-26)

2. و حسب مؤلف نيتشه" هكذا تكلم زرادشت" يمكن التمييز في العدمية بين أربعة أشكال هي:

1- تبخيس قيمة العالم المادي باسم عالم آخر.

2- تبخيس قيمة العالم المثالي وهذا العالم .

3- محاولة للفعل بدون أي تبرير مستمد من الإيمان بعالم أخر، واستبدال الأساس الإلهي للقيم بأساس إنساني.

4- إرادة أفول التمرد وهدم البنى القديمة، و إقامة بناءات أخرى.(بيار هيبر سوفرين، ، تر: أسامة الحاج، الصفحات 152-153)

وبما أن العدمية حسب نيتشه هي المقدسات التي يضعها الإنسان لنفسه ليهرب أمام رغبته في العيش، وهي لا تخرج عن ثلاث معاني في الخطاب النتشاوي وهي : إرادة العدم، انحطاط القيم العليا، التشاؤم والضجر الكبير. (Pimbè, janvier 2019, pp. 56-58) وتجاوزها لا يتحقق إلا بتحويل جذري للقيم تصير بمقتضاه القيم الفاعلة في المرتبة الأعلى ، وتستولي على القيم التي بقيت إلى حد الآن بتوجيه قوى الإرتكاس، والحقد، والمثل الأعلى الزهدي الدين والأخلاق. وفي هاته الحالة يكون تحويل للعدمية من ثقلها السلبي إلى العدمية في شكلها الفاعل، هذا ما سبق

لنيتشه أن أعلن عنه في كتابه "جينيالوجيا الأخلاق"، حينما أناط بالفيلسوف مهمة حل مشكلة التقييم، وبناء تراتب جديد للقوى حيث يغدو الفعل هو المحدد للمعنى والقيمة، ووحدهم فلاسفة المستقبل بإمكانهم تحقيق هذا الأمر.(عبد الرزاق بالعقروز، 2010، صفحة 205)

أمام هذا فالتحدي الأكبر الذي يواجه نيتشه هو القيام بتحويل جذري وكلي للقيم أملا في تأسيس تراتب جديد، وفي ولادة إنسان جديد هو الإنسان الأسمى على أنقاض الإنسان الأخير. و هذا النموذج الجديد الذي يبتغي نيتشه تقديمه للإنسانية لا يتحقق ما لم تتحقق مهمة تحويل القيم الراهنة، على هذه القيم أن تخلي مكانها لقيم الحياة.

وقد وظف نيتشه الجنيالوجيا بما هي إستراتيجية في التساؤل وقلب القيم ومن يقف وراء تشكل المفاهيم، فقد اقترح نيتشه بديلا عن الدراسة العقلية والموضوعية النقد الجنيالوجي بوصفه « أسلوب يعمق السؤال حول الأصل التكويني للأشياء وللعقل ومقولاته أيضا، ما هي قوى العقل والإدراك ما هي الإرادة التي تختبئ في العقل وخلف المقولات؟ هذه هي الطريقة التي تحقق النقد الحقيقي إنه المنهج الجنيالوحي».(عبد الرزاق بالعقروز، 2010، صفحة 150)

فالرجوع إلى أصل الأشياء يُمكّن من اجتثاث الحقيقة، وما تحمله من ميتافيزيقا وما الذي تريد الوصول إليه. فنيتشه أراد أن يشفف خطابات الحداثة من خلال تأويلية تسمح بالكشف عن الأقنعة التي تحجبها والميتافيزيقا التي تؤسس لها من أجل إظهار المضمر وتبطين الظاهر وزعزعة تمركز الأنا الغربية حول ذاتها. بمعنى إخراج الإنسان الغربي من العدمية اللافعالة التي يعيشها .

6. بعض النماذج النتشاوية في فلسفة ما بعد الحداثة:

لطالما اعتبر نيتشه منظر للفلسفة المعاصرة، فكل الفلسفات أصبحت تنتمي إلى كنفه أي نتشاوية المشرب، فهو فصلها عن الفلسفة الحديثة حينما حول البحث في الإنسان ومشكلاته وحلولها.

1.6 مارتن هيدغر

إن حضور فلسفة نيتشه في أعمال هيدغر يتجلى قبل كل شيء في النقد الذي يوجهه المفكران للميتافيزيقا الغربية "يأخذ هيدغر على الفلسفة الميتافيزيقية اهتمام الفلسفة في الموجود عل حساب الوجود المعين، فالفلسفة كما يقول هيدغر تبحث عن الموجود بما هو كذلك، أي أن الفلسفة بطريقها في البحث عن الموجود في الوجود، وبعبارات أخرى إنها تبحث عن الموجود بالنظر إلى وجوده، وقد شرح أرسطو ((Aristotele)384ق.م-322ق.م) ذلك حين أضاف إلى تساؤله السابق ما هو الموجود؟ شرحا ترجمته؛ ما هو الموجود يعني ما هي موجودية الموجود، إن الوجود الموجود علاقة بموجوديته، أما أفلاطون؛ فقد عبر عن الوجود بقوله إنه المثال، أما أرسطو فقد اعتبره طاقة وقوة محرّكة.»(مارتن هيدغر، تر، جورج كتورة، ، خريف 1988، صفحة 27)

يبدأ هيدغر منهجه لاسترجاع التفسير الذي يهدف في الأساس إلى تفسير معنى نص نيتشه وقيمة ذلك النص أيضا، عن طريق الفهم الكامل للدوافع والتقاليد التي أنتجته، ويرى هيدغر نيتشه على أنه آخر الناطقين اليائسين بلسان الميتافيزيقا الغربية التي سقطت أرضا على معطياتها الأخلاقية المنطقية، وراحت تحاول بلا جدوى التغلب على مشاكل هي من صنعها هي نفسها، ومن رأي هيدغر أن نيتشه شخصية أساسية في الفكر تمثل العقل في مواجهة حدوده

وعودته الأولية إلى الوجود أو إن شئت فقل نقطة الأصل التي سبقت خداعات الأخلاقي المنطقية المربكة.(كريستوفر نوريس، تر: صبري محمّد حسن، 1989، صفحة 151)

إن تأكيد ميتافيزيقا وفكر هيدغر فيمكن التدليل عليه من خلال الخاصة التي ترى الروح الميتافيزيقي متخللا في كامل النسيج الفكري الهيدغري، فمحاضرته الشهيرة ما الميتافيزيقا؟ هي في حقيقة طرحها –وكما أراد هيدغر لهذا الطرح أن يفهم– محاولة لإدانة إخفاق فهم الفلاسفة لهذا المفهوم، أما طبيعة إدانة الميتافيزيقا –حسب فهم الفلاسفة لها– فلانشغالها بالموجود وحده ولإهمالها الوجود الذي هو مبحثها الحق الوحيد في مقدار العلاقة بالعدم إدانتها بانزياحها إلى الموجود وبانفصالها وكفها عن البحث في علاقة الوجود والعدم.(عادل عبد الله ، 1997، صفحة 153)

إن الهدف من هذا المنعطف هو دخول الدور بشكل صحيح للدفع بالتحدي الملقى على عاتق تحليلية الدازاين إلى نهايته القصوى أي تأويل الكينونة تأويلا فينومينولوجيا وإخراجها من دائرة الميتافيزيقا باعتبارها تاريخ نسيان الكينونة، فالمنعطف أو المنعرج لا يقوم فقط في الحلقة المتعانقة بين الكينونة والزمان، وإنما كذلك يطال سؤال الحقيقة والماهية كما عبر عن ذلك هيدغر في قوله: «إن سؤال ماهية الحقيقة هو نفسه وفي الوقت نفسه، السؤال الخاص بحقيقة الماهية، إن مسألة الماهية مطروحة كمسألة أساسية تنعطف على نفسها ضد نفسها، وهذا المنعطف الذي نواجهه هنا هو مؤشر ما سنصل إليه من خلال الاحتكاك بتساؤل فلسفي حقيقي.»(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2014، صفحة 707)

لذا عاب هيدغر على الميتافيزيقا اهتمامها بالموجود الأعلى على حساب الوجود المتعين، فهو يقول في رده على الميتافيزيقا الكلاسيكية «يبدو أن الميتافيزيقا بسبب النمو الذي نفكر بمقتضاه، في الموجود، والذي لم تدركه هي الحاجز الذي يحول بين الإنسان وعلاقة الوجود بماهيته في علاقته الأولى.»(مارتن هيدغر، ترجمة وتحقيق فؤاد كامل ومحمود رجب، 1988، صفحة 79)

يهدف التقويض الفينومينولوجي للانطولوجيا التقليدية إذن إلى إعادة سحب سؤال الوجود في علاقاته بالزمان إلى دائرة التساؤل الفينومينولوجي؛ أي وصف ظاهرة الوجود من جديد في علاقتها بوجود الظاهرة –الموجود– أي مساءلة وجود الموجود خارج ميتافيزيقا الحضور التي فكّر من خلالها تاريخ الفكر الغربي بأسره، هو كذلك تشتيت وتفكيك للمفاهيم الكبرى التي شكلت الخطاب الفلسفي للغرب، والكشف عن المستندات الخفية للحداثة الغربية منذ ديكارت، والعودة إلى أصولها اليونانية، إن تذويب التصورات الأساسية للميتافيزيقا الغربية يقتضي إعادة سحبها إلى دائرة الوعي المعاصر ومعايشتها كراهنة لفضح التناهي الذي يمسها وجعلها تشيء بعجزها عن مجابهة السؤال الفينومينولوجي، لذا قال هوسرل في كتابه أزمة العلوم الأوربية: إن جعل التراث كراهنة مطلقة يقتضي إعادة سحبه إلى دائرة الشعور ومعايشته كحدث.(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2014، صفحة 711) والملاحظة المسجلة هي أن «الميتافيزيقا من حيث هي تاريخ حقيقة الموجود قد قامت انطلاقا من مصير الوجود ذاته، لذا فهي سر الوجود لكنه سر لم يفكر به لكونه ظل سرا مبهما.»(عبد السلام بنعبد العالي، 1991، صفحة 46)

تعد الميتافيزيقا إذن، منظورا ورؤية للعالم معينة؛ تتضمن منذ البدء مسلمات النسق الذي فكر فيها الغرب الموجود العلم، الله، الإنسان، التاريخ ... من حيث هو حضور متناسية الاختلاف الأنطولوجي بين الوجود والموجود وهي بهذا المنظور والرؤية تكون قد حددت النتائج التاريخية للثقافة الغربية على مر القرون التالية، بما في ذلك العصور الحديثة؛

ومشروع التقنية الثاوي في الماهية الميتافيزيقية للحداثة ... إن الحداثة والتقنية هي النتائج القصوى التي يفرزها فكر ميتافيزيقي أو الصدى البعيد لمثل هذا الفكر: إن الميتافيزيقا تحت كل أشكالها، وفي كل مراحل تاريخها، هي قدر واحد وربما تكون القدر الضروري للغرب، وشرط هيمنته على الأرض، بأسرها ثمة إذن علاقة وطيدة بين نمط التفكير المسمى ميتافيزيقا، والذي هو خصوصية الفكر الغربي، وبين إرادة الهيمنة التي تفرض الآن سلطانها عبر التقنية على أرجاء المعمورة قاطبة؛ فالتقنية في ماهيتها قدر تاريخي أنطولوجي لحقيقة الوجود من حيث هي كامنة في النسيان، يقولها هيدغر بطيبة خاطر.(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2014، صفحة 713)

وهذا الرأي يتعارض مع نقد نيتشه للميتافيزيقا القائم على رفضها لأنها نقيض الواقع أو الوجود، فنيتشه لو اعترف بهذا النقد وصرح به لأصبح لنقده لا قيمة له، ورأي هيدغر يعبر عن موقف مثالي مكملا للنقد الكانطي، الذي يرى أن الشيء في ذاته موجود في الواقع وليس متعاليا عليه. «ونستطيع أن نلاحظ هنا أن شيئا من الكانطية، يتسلل خفية إلى الخطوات الأولى للانطولوجيا الهيدغرية، لأن هذه المحاولات تفترض وجودا فيما وراء المعطى المباشر، وتفترضه في الوقت نفسه افتراضا جزافيا.»(ريجيس جوليفيه،، تر،فؤاد كامل، 1988، صفحة 65)

انتهى هيدغر بعد مدونة 1927 إلى نتيجة حاسمة مفادها أن الفينومينولوجيا، لا يمكنها التحرك إلا في أفق الميتافيزيقا؛ لقد اختفت الفينومينولوجيا ولغتها من كتابات هيدغر اللاحقة تحت وطأة الشعور بالفشل الذي أصاب لغة الوجود والزمان، لقد بدا مفهوم الدازاين ذاته —إلى ذلك الحين— ليس إلا التخريج الأخير من صيغ الذاتية المتعالية، وأن مفاهيم الوجود والزمان هي آخر الأجيال الديكارتية، يبدو أن الدازاين نتيجة هيرمينوطيقية لعملية نقض للأنا الحديث وليس اختراعا من لاشيء.(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2014، الصفحات 225-226)

2.6 جاك دريدا

أثر فلسفة نيتشه النقدية لم يقتصر على هيدغر والوجودية، بل تعداها إلى التفكيكية، فهو كان نبوئيا حينما اعتبر أن المائة عام القادمة، ستدشن مرحلة جديدة، من التفكير الذي سيشهد موت الإيديولوجيات، لتحلم محلها التعدد والاختلاف.

بجعل جاك دريدا من تفكيك الأنساق الميتافيزيقية التي شيدها العقل المحض هدفا لمشروعه التفكيكي، ويجعل ليوتار من مبدأ الرغبة أساسا لمناهضة فكرة العقل ويحاول رورتي (Richard Rorty)(1931-2007) من خلال ما أسماه الفلسفة المنشأة أن يزيل التمييز بين الحقيقة والمجاز ليجعل من الفلسفة جنس أدبي بسيط يمكن إدراجه تحت تاريخ الفنون، ومن نفس المنطلق، أيضا يرى بودريار*Jean) Baudrillard) (1929-2007)* أن محاولة اكتشافه الحقائق الثابتة الكامنة خلف الأشياء هو وهم يجب التخلص منه فما بعد الحداثة في الأصل مناهضة لفكرة المعنى الكامن وراء الأشياء والنتيجة ضياع مفهوم العقل وغياب الحقيقة في واقع تتجاوز به قوى عديدة تسعى للسيطرة عليها واستحواذها.(مصطفى، 2001، صفحة 48)

من خلال المقاربة التي أسماها التفكيك، بدأ دريدا بحثا أساسيا في طبيعة التقليد الميتافيزيقي الغربي وقوامه في قانون الهوية الذاتية وبنظرة سطحية، فإن نتائج هذا البحث، تبدوا كأنها تكشف عن تقليد ملغز لما فيه من مفارقات

وصعوبات منطقية.(جون ليشته، ، تر، فاتن البستاني، 2008، صفحة 222) دريدا يرى أن كل تاريخ الفلسفة بالرغم كل الاختلافات ليس من أيام أفلاطون حتى عقلانية هيغل فحسب، بل حتى منذ الفلاسفة الذين سبقوا سقراط حتى آخر فيلسوف معاصر كبير وهو الألماني هيدغر نسبوا كل الحقيقة إلى العقل أو اللوغوس، و العقل كان المركز الأساسي وهذه المركزية شكلت نوعا من الإمبريالية التي أخذت تطغى على بشرية مركزية إثنية عنصرية شكلت مركزية الغرب.(زيناتي، 1993، صفحة 122)

يحتل مفهوم التعددية والاختلاف، مكانة بارزة في الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة، بحيث وصف فلاسفتها بفلاسفة الاختلاف. سيتلاشى مفهوم الجوهر من الخطاب ما بعد الحداثي ليحل محله مفهوم التعددية... التعددية بكل أشكالها، تعددية الخطاب والمعنى والظاهرة والقوى، لقد أخذ فكر الاختلاف على الفلسفة الكلاسيكية إقصاء الآخر والاستحواذ عليه أنطولوجيا وابستمولوجيا وسياسيا.(مصطفى، 2001، الصفحات 60-61)

والآن إذا قارنا بين دريدا ونيتشه فإننا نرى أن قراءة نيتشه للنص الفلسفي، كانت من الخارج، أي تناولت موضوعات في فلسفة كانط وأفلاطون، أو هيغل بشكلها العام، على العكس من دريدا الذي يقرأ النص قراءة لغوية ويقوم بعملية التفكيك من خلال تحطيم الأسس التي يقوم عليها النص الفلسفي، وهذا ما ركز عليه دريدا في نقده لهيدغر في قراءته للنص النيتشوي، حيث يرى دريدا أن هيدغر محدد بتفسير موضوع حقيقة الوجود التي تساهم بنفس الأسطورة التركز الرمزي في صياغة الأصول في حين يعمل دريدا ويجدّ على كشفها.(كريستوفر نوريس، تر: صبري مُحَمَّد حسن، 1989، صفحة 77)

وعلى العموم فإن الفيلسوفين، هيدغر ودريدا يتابعان الأهداف التفكيكية نفسها، لكن الخلاف يكمن في أن هيدغر يبحث عن أسس وقواعد الفكر الأصيل والمتمثل في لحظة الوجود أو الكمال أما بالنسبة لدريدا، فإن ذلك يكمن أن يمثل حالة كلاسيكية أخرى من حالات الشوق الميتافيزيقي الشائعة، للبحث عن الحقيقة والأصول، تفكيك هيدغر بقي داخل الميتافيزيقا في حين عمل دريدا قائم على تفكيك المركزيات، وتحطيمها، فهو يساءل مجموعة حقائق ومفاهيم اكتسبت على مر التاريخ القداسة، أما نيتشه ظل ضمن إطار الميتافيزيقا السابقة كمركزية الصيرورة أو إرادة القوة والإنسان الأرقى والوجود الأرضي عموما.

لقد تعهد دريدا مسيرة تفكيك الميتافيزيقا، الغربية بناء على ما تعلمه من مناهج واستراتيجيات فلسفية وأنثروبولوجية غربية، وأسس علم الكتابة في مواجهة التكريس الشفاهي للثقافة، إنه يقف ضد ميتافيزيقا الكلام وحضوريته، لصالح الكتابة إذ يقوم تصوره عموما على مفهوم الاختلاف الذي يرجو منه فك امتيازات المركزية الغربية وتماسكاتها العنكبوتية حتى تنبعث رسالة الفلسفة من جديد، لاح لأن تكون وسيلة للالتزام السياسي والإيديولوجي والفلسفي وتتحرر من سلطوية الخطاب وحضريته للكتابة والاختلاف. (مجموعة من الأكاديميين العرب، 2014، صفحة 1238)

وإجمالا يمكن أن نقول إن مفهوم التفكيك عند دريدا، هو أحد المفاهيم الإجرائية المركزية الذي أقام على أساسه مفاصل خطابه الفلسفي، فقد كان من مبدئية هذا المفهوم تفكيك المركزية الغربية وإعطاء الأطراف والهوامش أهمية وقيمة، لأنه رأى أن الفكر الغربي قائم على ضدية عدائية ولا يوجد، إلا بهذه الثنائية، كثنائية العقل والجسد الذات

والآخر، المشافهة والكتابة، الرجل والمرأة وما إلى ذلك، وإن هذا الفكر دائما بمنح الامتياز والفوقية للطرف الأول ويلقي بالدونية على الطرف الثاني، وهذا انحياز دريدا التمركز المنطقي.(ميغان الرويلي ،سعيد البازغي،، 2000، صفحة 54) ويمكن أن نقول أن دريدا فك المركزية الغربية وجعلها منهجا ينتهجه ويتبعه أتباعه.

3.6 ميشال فوكو:

لاشك أن علاقة فوكو بنيتشه، باتت معروفة، فقد عالج فوكو قراءة نيتشه التأويلية للفلسفة وبحث في جينيالوجيا نيتشه وعلاقتها بالتاريخ، فهناك الكثير من الأفكار في فلسفة فوكو تتساوق مع أفكار مشابهة لها في فلسفة نيتشه مثل الجينيالوجيا لدى نيتشه، والأركيولوجيا عند فوكو، موت الإله في فلسفة نيتشه وموت المؤلف لدى فوكو: «والواقع أن ما يمكن أن نستخلصه من أطروحة فوكو، هو أن الحقيقة، أو ما يبدوا على أنه حقيقة، هو في عمقه لعبة سلطوية تمارس على فئة بعينها من أجل خدمة القوى المتحكمة في الصراع يقول فوكو: «إن الحقيقة مرتبطة بأنظمة السلطة التي تولدها وتساندها.»(مصطفى، 2001، الصفحات 47-48)

إن إعلان فوكو موت الإنسان، هو نقد للمركزية الذاتية، للكوجيتو الديكارتي، الذي لازم الفكر الغربي لمدة قرنين من الزمن، وهو نقد للمركزية بكل أشكالها، وتحديدا أطروحة موت المؤلف، التي غيبت الإنسان وقضت عليه كسلطة معرّفة، ثم التطور الحاصل في العلم، الذي أعلن نهائيا عن الموت الحقيقي له.

إذا فإن القول بموت الإنسان، أو إن شئت فقل اختفاء الذات، ليس مجرد تعبير عن ابستمولوجية جديدة تحرص على وحدة المقال العلمي، وتهتم باستبعاد مفهوم الإنسان، الذي طالما أثار بلبلة في نطاق اللغة وإنما هو في الحقيقة أو بالأحرى تعبير إيديولوجي عن نزوع الإنسان المعاصر نحو التخلي عن النشاط أو الفعل، في إطار ذلك المجتمع التكنوقراطي الذي أصبح يخطط له كل شيء.(زكريا إبراهيم ، بدون تاريخ، صفحة 143)

لقد أراد فوكو أن يقف عند جذور العقلانية الغربية ويلفت نظرنا في هذا الطريق الذي انتهجه لاستجلاء فرق لطيف بين العقل والجنون، تدبر من خلاله تاريخية ونسبية هذه العقلانية، وكشف أن تاريخ الجنون هو على الأرجح تاريخ الآخر ما هو بالنسبة لثقافة ما، باطني وغريب معا، ومن ثم ينبغي استبعاده.(مجموعة من الأكاديميين العرب، 2014، صفحة 857)

7. خاتمة:

من خلال عرضنا في هذه الدراسة لنظرية القيم عند نتشه وأثرها في فكر ما بعد الحداثة نستطيع استخلاص جملة من النتائج أهمها:

1. الفكر ما بعد حداثي هو ثورة على الإرث الحداثي بمختلف صوره وأشكاله.
2. نتشه عمل على خلق قطيعة ابستمولوجية بين كل محمولات الحداثة وموضوعات ما بعد الحداثة
3. نقدية نتشه شكلت الملمح العام للفكر ما بعد حداثي.
4. فكرة موت المقدس هي الفكرة التي صنعت مختلف خطابات ما بعد نتشه.

وفي الأخير يمكن أن نقول أن المدرسة البنيوية والتفكيكية؛ قامت على أطروحات نيتشه وعملت على تطويرها فقط؛ فكانت سيطرته على الفكر الغربي في القرن العشرين، يمكن أن نقول أنها سيطرة مطلقة.

8. قائمة المراجع:

1. Pimbè, D. (janvier 2019). Nitzshe. france: Philosophie.
2. أندريه لالاند، تر :خليل أحمد خليل .(2001) .الموسوعة الفلسفية .بيروت لبنان :منشورات عويدات، الطبعة الثانية.
3. بيار هيبر سوفرين، ، تر :أسامة الحاج .زرادشت نيتشه .بيروت لبنان :للدراسات والنشر والتوزيعالطبعة الأولى.
4. جان غرانيه، تر :علي بوملحم .(2008) .نيتشه .بيروت لبنان :المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1،.
5. جان فرانسوا دورتيي، تر :إبراهيم صحراوي .(2009) .فلسفات عصرنا .الجزائر :منشورات الاختلاف الطبعة الأولى .
6. جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي، جزء الثاني. بيروت لبنان: دار الكتاب اللبناني، دط،.
7. جون ليشته، ، تر، فاتن البستاني .(2008) .خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة . بيروت لبنان :مركز الدراسات الوحدة العربية، ط.1
8. جيل دولوز،ترجمة أسامة الحاج .(2001) .نيتشه والفلسفة .بيروت لبنان :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.2
9. ريجيس جوليفيه،، تر،فؤاد كامل .(1988) .المذاهب الوجودية من كيركيجارد إلى جان بول سارتر .بيروت لبنان :دار الآداب، ط.1
10. زكريا إبراهيم) .بدون تاريخ .(مشكلة البنية .مكتبة مصر، ب–ط.
11. زيناتي ,ج .(1993) .رحلات داخل الفلسفة الغربية .بيروت لبنان :دار المنتخب العربي، ط.01
12. صفاء عبد السلام علي جعفر .(1999) .محاولة جديدة لقراءة فريدريش نتشه .بيروت لبنان :دار المعرفة الجامعية، د–ط.
13. عادل عبد الله .(1997) .التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل .دمشق سوريا :دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط.1
14. عبد الرحمن بدوي .(1975) .نيتشه .الكويت :وكالة المطبوعات، ط.1
15. عبد الرزاق بالعقروز .(2010) .نتشه ومهمة الفلسفة .الجزائر :منشورات الاختلاف ط.1
16. عبد السلام بنعبد العالي .(1991) .أسس الفكر الفلسفي المعاصر .الدار البيضاء :دار توبقال للنشر والتوزيع، ط.01
17. فرنسيس فوكوياما ، تر :فؤاد شاهين وآخرون .(1993) .نهاية التاريخ والإنسان الأخير .بيروت لبنان :مركز الإنماء القومي.
18. فريدريك نيتشه، تر :محمد الناجي .(2011) .إرادة القوة، .دار البيضاء المغرب :إفريقيا الشرق، .

19. كريستوفر نوريس، تر :صبري مُحَمَّد حسن .(1989) .التفكيكية النظرية والممارسة .المملكة العربية السعودية : دار المريخ.

20. مارتن هيدغر، تر، جورج كتورة،) .خريف .(1988ما هي الفلسفة؟ .*مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الرابع*، .27 ,

21. مارتن هيدغر، ترجمة وتحقيق فؤاد كامل ومحمود رجب .(1988) .ما الفلسفة ما الميتافيزيقا هيلدرن وماهية الشعر .مصر :دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط.1

22. مجموعة من الأكادميين العرب .(2013) .خطابات ما بعدالحداثة .الجزائر :منشورات الاختلاف، ط.1

23. مجموعة من الأكاديميين العرب. (2014). الفلسفة الغربية المعاصرة. بيروت لبنان: منشورات دار الاختلاف، ط01،.

24. مُحَمَّد أندلسي .(2006) .نيتشه وسياسة الفلسفة .الرباط المغرب :دار توبقال للنشر والتوزيع، ط.1

25. مصطفى ,ب .ا .(2001) .فلسفة ما بعد الحداثة .عمان، الأردن :دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط01، .

26. ميغان الرويلي ،سعيد البازغي، .(2000) .دليل الناقد الأدبي .بيروت لبنان :مركز الثقافة العربي، ط.2

27. نيتشه ، تر :سعاد حرب .(2001) .العلم الجذل .بيروت لبنان :دار المنتخب العربي، ط.1

28. نيتشه، تر :حسان بورقية، مُحَمَّد الناجي .(1996) .أفول الأصنام .بيروت لبنان :إفريقيا الشرق، ط.1

29. نيتشه، تر :حسن قبيسي .(1981) .أصل الأخلاق وفصلها .بيروت لبنان :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط.1

30. نيتشه، ترجمة مُحَمَّد الناجي .(1998) .إنسان مفرط في إنسانيته كتاب العقول الحرة .بيروت لبنان :إفريقيا الشرق.

31. نيتشه،ترجمة جيزيلا فالور حجار .(1995) .ما وراء الخير والشر، .بيروت لبنان :غروب في، الطبعة الاولى.

32. نيتشه،ترجمة فليكس فارس،) .بدون تاريخ .(هكذا تكلم زارادشت .بيروت لبنان :المكتبة الأهلية.